مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنْ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة

مُؤسّسة عُلوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الثانية– العدد الرابع

شَهْرُ رَمَضان - ١٤٣٨ هـ/ حَزِيران- ٢٠١٧ م

مقصدية التواصل
في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)
دراسة تواصلية

The purpose of communication in the covenant of Imam Ali (peace be upon him) to Malic Bin Al_Ashtar continuity study

أ. د. أناهيد عبد الأمير الركابي

كلية التربية

الجامعة المستنصرية

Asst. Prof. Dr. Anahed Al-Rikabi

College of Education

Al-Mustansiriya University

ملخص البحث

أكد الإمام علي (عليه السلام) في عهده لمالك بن الأشتر النخعي (رضوان الله عليه) جملة من القوانين والقواعد التي تدار وتحكم من خلالها الدولة وتراعي شؤون الرعية. وقد أكد العهد أيضاً على الحكم الناصح وإقامة العدل والمساواة بين الرعية وحفظ كرامة الإنسان وحقوقه والابتعاد عن الطمع وحب الشهوات والالتزام بالذكر الحسن وعدم ظلم الآخرين وغيرها من المعاني الإنسانية السامية التي يحتويها هذا العهد ليكون دستور حكم ناضج وكامل في مصر.

كل ذلك تم بين الإمام علي ومالك عن طريق اللغة التي هي في جوهرها لا تعدو أن تكون وسيلةً من وسائل تنظيم المجتمعات الإنسانية إذ إنها تساعد على الربط بين الأفراد والمجتمعات بل أنها وسيلة من وسائل التواصل اذ احتل هذا المصطلح (التواصل) موقعاً مركزياً في الأبحاث والدراسات وفي عدة مجالات، وهو من الموضوعات التي أولاها البحث اللساني الأهمية القصوى سعياً منه للوصول الى طبيعته ولعله مصطلح يكتنفه الغموض لتداخله مع غيره من المصطلحات كالوصل والإيصال والإتصال والإبلاغ.... الخ ولكون هذا العهد قد ظفر بنصيب وافر من التواصل لاحتوائه على مظاهر التواصل وآلياته وقع اختيارنا على العهد الذي كان بمنزلة التواصل بين ثلاثة أركان رئيسة هي المرسِل وهو الإمام علي (عليه السلام)، والمتلقي وهم الرعية والواسطة وهو مالك بن الأشتر (رضوان الله عليه).

Abstract

Imam Ali (peace be upon him) make sure in his covenant to Malik Bin Al-Ashtar Al-Nakhai (may Allah pleased him) a set of laws and rules which is used by government to governing and administering the state affairs of citizens . The covenant also stressed on the rule of justice , establishment of equality justice among citizens , preservation of human dignity and rights avoid greed , love of lusts , commitment to mention good speech and not to injustice others . And others human meaning which are contained in the letter to be the constitution of mature and complete rule in Egypt .

All this was done between Imam Ali (peace be upon him) and Malik Ibn Al-Ashtar through the language which is in essence consider as means of organizing human societies. It's also considered as a means of communication as , the term of communication occupies a central position in research and studies in several field.

One of this topics that pragmatic research has given the most importance in order to reach it's nature . It may be a vague term for its overlap with other terms such as connecting , receipt, communication and announcement , ete.. for this covenant has contained a lot of communication to contain the manifestion of communication and it's means. The covenant was chosen as the communication between three main pillars : the sender Imam Ali (peace be upon him), the recipient, the citizens and the mediator , Malik Bin Al-Ashtar.

تمهيد للموضوع وبيان الأهمية:

مما لا يخفى على أحد أهمية عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك بن الأشتر النخعي (رضي الله عنه) ذلك الرجل الشجاع الذي ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب محمد بن ابي بكر، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن وقد ابتدأه (عليه السلام) بالبسملة ثم الأمر، شرع في هذا الأمر الواجبات التي ينبغي على مالك بن الأشتر القيام بها والأمور التي عليه مراعاتها وحقوق الرعية التي عليه تأديتها لأنه المسؤول عن هذه الرعية وحقوقها. وبين في هذا العهد أن العدل أساس الحكم فيجب على الحاكم والحكومة أن يكونوا في خدمة الناس ومهاراتهم وإلا تحولت الحكومة إلى منصب دنيوي يلهث وراءه كل باحث عن المال والجاه. ولأهمية هذا العهد تناولته الأقلام بالدراسة والتمحيص والتفسير والشرح وقد ترجم الى كثير من اللغات العالمية لما يحتويه هذا العهد من معانٍ إنسانية سامية وعظيمة تخص مختلف شؤون الحياة وواجبات الحاكم والمحكوم فأكد (عليه السلام) جملة من القوانين والقواعد التي تدار وتحكم من خلالها الدولة وتراعي شؤون الرعية. وقد أكد العهد أيضاً على الحكم الناصح وإقامة العدل والمساواة بين الرعية وحفظ كرامة الإنسان وحقوقه والإبتعاد عن الطمع وحب الشهوات والالتزام بالذكر الحسن وعدم ظلم الآخرين وغيرها من المعاني الإنسانية السامية التي يحتويها هذا العهد ليكون دستور حكم ناضج وكامل في مصر.

كل ذلك تم بين الإمام علي (عليه السلام) ومالك عن طريق اللغة التي هي في جوهرها لا تعدو أن تكون وسيلةً من وسائل تنظيم المجتمعات الإنسانية إذ إنها تساعد على الربط

بين الأفراد والمجتمعات بل أنها وسيلة من وسائل التواصل اذ احتل هذا المصطلح (التواصل) موقعاً مركزياً في الأبحاث والدراسات وفي مجالات عدة وهو من الموضوعات التي أولاها البحث اللساني عامة الأهمية القصوى سعياً منه للوصول إلى طبيعته ولعله مصطلح يكتنفه الغموض لتداخله مع غيره من المصطلحات كالوصل والإيصال والإتصال والإبلاغ.... إلخ ولكون هذا العهد قد ظفر بقسط وافر من التواصل لاحتوائه على مظاهر وآليات التواصل وقع اختيارنا على العهد الذي كان بمثابة التواصل بين ثلاثة أركان رئيسة هي المرسل وهو الإمام علي (عليه السلام)، والمتلقي وهم الرعية والواسطة وهو مالك بن الأشتر (رضي الله عنه).

سبب اختيارنا الموضوع: من هنا يأخذ بحثي الموسوم: بمقصدية التواصل في العهد دواعي وجوده ممثلة في رغبتي الملحة في تشريف دراستي بإمام الغر المحجلين ويعسوب الدين ولا سيما عهده.

ارتسم البحث في هيكل تنظيمي قوامه تمهيداً ومبحثين وخاتمة ثم مظاناً بأهم مصادر البحث ومراجعه. في التمهيد عرفنا مفهوم التواصل لغة واصطلاحاً ثم عرفنا بشخصية مالك بن الأشتر وفي المبحث الأول درسنا مصطلح التواصل في التراث العربي عرضنا فيه آراء كوكبة من العلماء العرب وكيف كانت نظرتهم إلى هذا المصطلح وكذلك آراء بعض من اللسانيين الغربيين ونظرتهم في تعريفهم للتواصل ثم المبحث الثاني الذي تضمن دراسة نماذج من العهد دراسة تواصلية وقد اعتمدت في دراستي هذه على مجموعةٍ من المصادر العربية التراثية والحديثة فمن الحديثة اللسانيات ونظرية

التواصل لعبد القادر غزالي واللغة والحواس لمحمد كشاش وغيرها.

وفي الختام أقول أسأل الله أن ينفعني ويسدد خطاي، إنّه قريب مجيب وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

التواصل لغةً واصطلاحاً

مصطلح التواصل: (مشتق من الفعل وصل الذي جذرهُ (و، ص، ل) خلاف الفصل والانقطاع)[1] والتواصل على وزن (تفاعل) لما يصدر من أثنين فصاعداً، و(تواصل) من (واصل) المتعدي إلى مفعول واحد وبهذا سيكون (تواصل) مكتفياً بالفاعل؛ لأن المقصود منه قيام الفعل بالفاعل، فلا ينظر إلى تعلق الفعل بالمفعول هنا، لأن وضع (تفاعل) لنسبته إلى المشتركين فيه من غير قصد إلى ما تعلق به[2].

وفي المعجم الوسيط: (وصل الشيء بالشيء وصلاً ومثله: ضمهُ به وجمعه ولامه تصارما)[3].

أما معجم (Lepetit Robert) فأنه يُعرّف التواصل بأنهُ: الإبلاغ ومسافة الاطلاع والأخبار أي نقل خبر ما من شخص إلى آخر أو إقامة علاقة مع شخص آخر)[4].

وعليه فالتواصلً في اللغة هي أحدى صيغ الفعل التي توحي من معناها العام بمعاني الاقتران والترابط والالتئام والجمع والإبلاغ والتلاقي والاحتكاك والتمازج والتفاعل والتبادل والتلاقح والاتصال المثمر.

أما في الاصطلاح فيعرفه شُارل كولي(Charles Cooley) بقوله: (التواصل هو الميكانزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان ويتضمن أيضاً تعابير

الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان)[٥].

إذن نستطيع أن نتبين أن هناك فرقاً بين مصطلحي الإيصال والتواصل من حيث الدلالة والاتصال من الفعل (إتصل، يتصل) نقول: إتصل المعلم بالمتعلم، أي أقام معهُ صلة، ويفيد هذا المعنى أن الفاعل واحد وهو المعلم الذي قام بالمبادرة.

أما التواصل فهو من الفعل (تواصل- يتواصل) إذ نقول: تواصل المعلم والتلاميذ، ويفيد ذلك المشاركة لأن الفاعل أكثر من فرد واحد.

كما جاء في معجم (Dictionnaire desconcepts) التواصل: (هو تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية سواء أكان هذا التبادل قصديا أم غير قصدي، بين الأفراد والجماعات)[٦].

أما مفهوم الخطاب فقد عرفهُ ابن منظور بقوله (مراجعة الكلام وقد خاطبهُ بالكلام مخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان)[٧] ويبدو أن مفهوم الخطاب يقترب كثيراً من مفهوم الحوار عند ابن منظور وسوف نأتي عليه لاحقاً.

أما في المعجم الوسيط فالخطاب (أن يُفسر بالكلام دون بيان نوعه والخطاب بمعنى الرسالة)[٨] ويُحدد عند هارسن في الاصطلاح بأنه: (متوالية من الملفوظات ذات علاقة معينة، أما بنفينست فيرى أن الخطاب هو الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل)[٩].

أما مفهوم الحوار فقد قال عنه الزمخشري أنه مأخوذٌ من (حاورته، راجعته الكلام، وهو حسن الكلام

وكلمتهُ فما رد على محوره، وما صار جواباً أي ما رجع)[١٠].

أما ابن منظور فيرى أن الحوار هو من (الحَوْر بفتح الحاء وسكون الواو، وهو الرجوع من الشيء وإلى الشيء، فيقال حار إلى الشيء، وعنهُ حوراً، ومحاراً ويحاره، وحؤوراً: رجع عنهُ واليه، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)[١١].

أما الفيروزآبادي فيقول في معناه: (الرجوع كالمحار والمحارة، والحؤور، والنقصان والمحاورة والمحورة: الجواب كالحوير والحوار والحيرة والحويرة، مراجعة المنطق وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم)[١٢].

أما في الاصطلاح فأن الحوار (Dialogue) فهو شكل من أشكال التواصل بين جميع البشر حيث يحمل كل متحاور مجموعة من الأفكار يسعى لإيصالها للطرف الثاني وهو (طريقة من طرائق التعبير المختلفة وهو من أهم الأساليب التي نعتمدها في حياتنا اليومية لكونه وسيلة أساسية للتخاطب والتواصل)[١٣].

من خلال هذا العرض التفصيلي لهذه المصطلحات الثلاث (التواصل، الخطاب، الحوار) لغة واصطلاحاً نجد أن هذه المصطلحات تتفاوت معانيها دلالياً، إلا أنها تنتمي في مجملها إلى حقل التواصل الذي يشمل أسلوب الحوار وأسلوب الخطاب (إذ أن كل منهما يقتضي الأخر بالضرورة، إذ لا يمكن أن نبلغ شيئاً ما دون وجود الآخر، ولا يكون هذا الأمر مستقبلاً أو سامعاً محايداً، بل يكون فاعلاً، أي سائلاً ومجيباً في الآن نفسه)[١٤].

فالحوار يُعَدُّ جزءاً مهماً من أجزاء التواصل البشري لأن أي تداخل بين طرفين أو أكثر يتطلب الفعل وردة الفعل، من أجل غاية إخبارية أو

اقناعيـة أو تواصليـة أو حجاجيـة.

فالعمليـة التواصليـة أذن تتشـكل مـن مصطلحين رئيسين هما: مصطلح التفاعـل (Interaction) ومصطلـح التواصـل (communication) ونعنـي بالتفاعـل: (مشـاركة طـرفي الحـوار في الـكلام حـول مضامين إنسـانية معينة، أمـا التواصـل فهـو التبـادل الكلامـي بـين شـخص متكلـم (Sujetparlant) ينتـج ملفوظـاً موجهـاً إلى مخاطـب (Lnterlocuteure)، وهـذا الأخـير، يلتمس الاستماع أو الجـواب الصريـح أو المضمـر حـين يكـون الملفـوظ)[١٥].

عناصر العملية التواصلية

للتواصـل مجموعـة مـن العنـاصر تتـآزر فيـما بينهـا لتشـكل العمليـة التواصليـة وهـي:

(١) المرسـل: وهـو شـخص أو مجموعـة مـن الأشـخاص تريـد أن تتصـل بالآخريـن عـلى وفـق طريقـة معينـة مـن طرائـق الاتصـال سـواء أكانـت لغويـة أم غـير لغويـة ولكـي يتمكـن المرسـل مـن إنجـاز رسـالته لا بـد أن يراعـي التحكـم في لغتـه إضافـة إلى مراعـاة البيئـة المحيطـة بـه لأنـهُ (مصـدر الخطـاب المقـدم إذ يعتـبر ركنـاً حيويـاً في الدائـرة التواصليـة، وهـو الباعـث الأول عـلى إنشـاء خطـاب يوجـه إلى المرسـل إليـه في شـكل رسـالة)[١٦].

(٢) الرسـالة: وهـي (عمليـة فـك الرمـوز التـي تنتقـل في الصـوت إلى المعنى فتنتقـل الرسـالة مـن المرسـل إلى المرسـل أليـه)[١٧] وتتضمـن الخطـاب الـذي يـود المرسـل إيصالـه إلى المخاطـب وهـي مجموعـة مـن العنـاصر اللغويـة الماديـة والمعنويـة التي يصوغها المرسـل لكـي يوجهها إلى المرسـل إليـه أي إنهـا ثمـرة العمليـة التواصليـة بـين (المرسـل والمرسـل أليـه) وهـي تتخـذ عـدة أشـكال فقـد تكـون كلامـاً شـفوياً أو إيحائيـاً عـن طريـق الإشـارة وقـد

تكون كتابة. إذن هي النص الكلامي أو الشفوي أو الرمزي.

(٣) القناة: (وهي الوسيلة التي تنتقل عبرها الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه وهي التي تسمح بقيام التواصل بين المرسل والمرسل إليه وعبرها تصل الرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى)[١٨] وقد تكون لفظية أو كتابية أو رمزية.

(٤) المرسَل إليه: وهو (الجهة التي توجه له الرسالة من المرسل ولا بد من أن يكون المرسل إليه مؤهلاً لفهم الرسالة)[١٩] أي إن المرسل إليه هو متلقي الرسالة حيث يتلقى ما يوجهه إليه المرسل ثم يقوم بعملية فك رموزها باعتماد الإشارات المخزونة في ذاكرته وهذا يعتمد على ثقافته وتجاربه إذ أن قيام التواصل مرتبط أصلاً بوجود مخاطب يتفاعل معهُ المرسل ومن خلال معرفته للمرسل إليه تكون طريقة الخطاب.

(٥) السنن: وهو (نسق القاعدة المشتركة بين الباعث والمتلقي، والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول)[٢٠] أي إن وجود السنن المشتركة بين المرسل والمرسل إليه يبين قصدية المتكلم ويعين السامع على الفهم، ومن ثم تستمر العملية التواصلية وإذا جهل المتلقي السنن، فإن عملية التواصل لا تتم أصلاً.

(٦) السياق: وهو وضع ما يتحدث عنه المرسل من موضوعات في سياق معين، حيث يتشكل السياق الاتصالي ويتضمن المكونات الفكرية والاجتماعية للمرسل والمرسل أليه إذ تظهر الرسالة داخل سياق معين من خلاله يتوصل المتلقي إلى قصد الملقي ليستمر التواصل بينهما. إذ (ينشأ السياق نتيجة تطبيق إجراءات تأسيس محددة على وفق بروتوكول مقبول بالإجماع ونتيجة وجود إمكان

متاح لأي كان من أجل متابعة هذا التطبيق متى عَنَّ له ذلك)[٢١].

وقد وضع جاكسون خطاطة صغيرة يوضح بها هذه العناصر التي لا يستغني عنها التواصل اللفظي[٢٢] كما في شكل رقم (١).

المبحث الأول

مفهوم التواصل بين العرب والغرب

أشار النقاد العرب القدامى إلى مصطلح التواصل إشارة غير مباشرة عند تعريفهم للغة والبلاغة والبيان، فهذا ابن سنان أشار إلى مصطلح التواصل في قوله: (ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه... والدليل على صحة ما ذهبنا اليه.... إن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني)[٢٣].

ففي هذا النص أشارة صريحة إلى التواصل من خلال توجيه رسالة من المتكلم إلى السامع عبر قناة هي الكلام غاية المتكلم هي إرسال هذه الرسالة إلى السامع عن طريق الكلام وهذا يعني أن عملية التواصل تقوم على عناصر أربعة عند الخفاجي هي (المتكلم، السامع، الرسالة، القناة) و (وهكذا تجد أن حاجة الإنسان إلى اللغة شرط من شروط تواصله مع الآخرين)[٢٤].

وكذلك يظهر مفهوم التواصل عند ابن سنان في قوله (يكفي من حظ البلاغة إلا يؤتى السامع من سوء فهم الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع) وهنا يركز الخفاجي على الوظيفة الإفهامية للغة فهي فهم وإفهام بين السامع والمتكلم.

أما العسكري فيشير إلى مصطلح التواصل عند تعريفه البلاغة فيقول

(البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن)[٢٥].

نفهم من هذا النص أن العسكري في تعريفه هذا يركز على تواصل المتكلم مع نفسه أولاً وتفكيره وبعد أن يفهم المعنى يحاول إيصاله إلى المتلقي .

أما ابن المقفع (البلاغة أسم لمعانٍ... منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع.... ومنها ما يكون خطياً)[٢٦].

ومن خلال هذا النص نفهم أشارة المقفع إلى السامع والمتكلم وهما يمثلان عنصرين من عناصر العملية التواصلية.

أما الجاحظ فيشير إلى مصطلح التواصل عندما يعرف البيان في قوله: (البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[٢٧].

الجاحظ في هذا النص حدد لنا عناصر العملية التواصلية كاملة وهي (المتكلم، السامع، الرسالة، القناة، الشفرة) فالرسالة تصل من المتكلم إلى السامع غايتها الفهم والإفهام عن طريق اللغة أما الشفرة فأنها تمثل (كشف قناع المعنى وهتك الحجاب).

ولم يكتف الجاحظ بالإشارة إلى عناصر العملية التواصلية وإنما نجده في موضع آخر يشير إلى أنماط وأنواع التواصل إذ يقول (جميع أصناف

الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصية)[٢٨].

فالتواصل حسب رأي الجاحظ في هذا النص يكون عن طريق الكتابة، أو الخط، أو الإشارة، أو الإيحاء أما قوله نصية فيقصد بها الحال الناطقة بالدلالة وهي ناتجة عن التأمل أو التفكر.

من خلال هذه الآراء النقدية والبلاغية المهمة للعلماء العرب اتضحت لنا رؤيتهم للتواصل وكيف نظروا إلى هذا المصطلح من خلال اللغة باعتبارها أداة مهمة للتواصل.

ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط رقم (٢).

أما مفهوم التواصل عند الغرب فيُعد دي سوسير من أوائل النقاد الذين أشاروا إلى نظرية التواصل في قوله (إن نقل الدماغ الإشارة المناسبة للصورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات فينتقل الكلام من الشخص (أ المتكلم) إلى الشخص (ب المتلقي) فإذا تكلم الشخص (ب) بدأ حقل جديد من دماغه إلى دماغ الشخص (أ)... وقد وضع خطاطه لعملية التواصل وهي كما في مخطط رقم (٣)[٢٩].

ثم جاء بعد دي سوسير الباحث النفسي الألماني كارل بوهلر وأشار إلى عمل دي سوسير ومكملا له فذكر ثلاثة محاور تقوم عليها العملية التخاطبية وهي: (المرسل (ضمير المتكلم)، والمرسل إليه (ضمير المخاطب) والموضوع، ويتولى عن المرسل الوظيفة الانفعالية وعن المرسل إليه الوظيفة الإفهامية وعن الموضوع المرجعية)[٣٠].

أما مارتينيه فيرى أن: (إحدى

وظائف اللغة، الاتصال وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخول في علاقات مع بعضهم بعضاً، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم)[٣١].

نفهم من سياق النص أن مارتينيه يشير إلى التواصل الذي يعد أهم وظائف اللغة.

أما لينش فيرى: (أن اللغة تُعَدُّ شكلاً اتصاليا يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى)[٣٢] وهنا يشير إلى أن التواصل من بين أهم الوظائف التي تؤديها اللغة.

ويرى (هنري سوين) اللغة بأنها: (التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية)[٣٣] وهذا يستوجب عناصراً لكي تتم العملية التواصلية هذه العناصر تتمثل بالمتكلم، السامع، الرسالة، القناة.

أما (سابير) فيرى اللغة بأنها: (وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يستخدمها الفرد باختياره)[٣٤].

هذه التعريفات المختلفة للغرب تتفق على أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة التواصلية وخلاصة وظيفة التواصل ما يلاحظه (بينيت) إذ يرى: (أن وظيفة التواصل تتمثل أساساً في سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمرٍ ما أو إلى نسبة عمل ما إليه)[٣٥].

وهكذا يتبين لنا أن الإنسان هو أساس العملية التواصلية إذ قد يكون متكلماً أو سامعاً بينه وبين فرد آخر، أو جماعة، أو يكون تواصله عن طريق اللغة والكتاب وهو ما يسمى بالتواصل الثقافي.

المبحث الثاني

دراسة تطبيقية لنظرة التواصل ووظائفها في العهد

يمثل هذا المبحث لبنة أساسية

للبحث وهو الحقل الإجرائي والتطبيقي الذي يبين لنا مهام الوظيفة التواصلية في نصوص هذا العهد من خلال استعراض هذه النصوص وبيان الوظائف التواصلية فيه من خلال بعض المفاهيم منها:

(١) الإقناع والتواصل

يعتبر الإقناع من أهم وظائف التواصل وغاياته حتى أن علم البلاغة العربية جاء من أجل (التواصل والإقناع والإمتاع)[٣٦].

والإمتاع هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد وطرفها الآخر هو الإقناع، وهذان الطرفان متلازمان وجودا أو عدماً (فلا وجود للإقتناع من دون وجود الإمتاع)[٣٧] لأن الإقتناع يكون من طرف المرسل إليه (الملقي) والإقناع يكون من طرف الأول وهو المرسل (المتلقي)، فإنْ لم يكن الأول فلا وجود للثاني، وعندما نأتي إلى العهد نجد أن المرسل هو الإمام علي (عليه السلام) والمتلقي هو مالك بن الأشتر (رضوان الله عليه) والمخطط رقم (٤) يوضح ذالك.

والإقناع لابدّ أن يكون بطريقة منظمة يستجمع فيها الملقي كل ما يملك من وسائل مختلفة للتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون وهذا ما وجدناه في شخص الإمام علي (عليه السلام) الإمام الحكيم العادل الرشيد. فتتم الموافقة على وجهة نظره في موضوع معين وارتياح نفس الملتقي إلى ما كان من الملقي خصوصاً إذا كان الإقناع مباشراً من الإمام علي (عليه السلام) وهو يخاطب الفرد وهو مالك بن الأشتر (رضوان الله عليه) في عهده هذا.

(٢) الإفهام والتواصل

إنّ غاية الإمام علي (عليه السلام) في كتابه هذا أن يصل موضوعه إلى

ذهن المتلقي فيقع الفهم، فمضمون العهد يقع على الفهم والإفهام فنجده ركز في مقدمته بذكر الله وتوصية أصحابه بتقوى الله واتباع أوامره في قوله (أمره بتقوى الله واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها)[٣٨] فقد ركّز (عليه السلام) على المقدمة الخطابية لشد انتباه الجمهور ويمكن توضيح ذلك في المخطط رقم (٥).

وفي هذه الحال لا بد أن يُراعى حال المرسل إليه ومنزلته فـ (مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم)[٣٩] فغاية الإمام علي (عليه السلام) من التواصل هو التركيز على المتلقي حتى يستطيع الوصول الى إفهامه.

(٣) الكلام والتواصل

المقصود من الكلام هو التفاهم والتخاطب أي ما يحقق التواصل، لأن التفاهم على وزن تفاعل دال على المشاركة كما تقدم في وزن (تخاطب) في أول البحث ومعنى التفاهم أن يكون الكلام دالا على مقصود، أي يفيد معلومة جديدة عند المتلقي كما يحث النحاة على مفهوم (حسن السكوت) فهل هو وصف للمتكلم أم للمتلقي؟ أي هل يقصد سكوت المتكلم أم سكوت المتلقي؟ بحيث لا ينتظر شيئا من أجل إتمام المعنى المقصود وقد رجح أكثر النحاة أن يكون وصفا للمتكلم فيكون معنى التعريف (لفظ مفيد يحسن سكوت المتكلم بحيث لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر)[٤٠].

ونلاحظ من هذا التعريف ما يأتي:

(أ) ذكر أركان النظرية التواصلية من المرسل (المتكلم) والمرسل إليه (المتلقي) والرسالة (الموضوع) وهذه

الأركان مجتمعة نجدها متحققة في عهد الإمام علي (عليه السلام).

(ب) الوظيفة التعبيرية لتواصل الإمام علي (عليه السلام) في عهده تتمثل في شخص الإمام علي (عليه السلام) وهو المتكلم إذ شرطوا فيه أن يكون قاصدا لكلامه.

(ج) الوظيفة الإفهامية وتعني ذكر السامع (المرسل إليه) وقد شرطوا أن يكون السامع (المرسل إليه) موجوداً فيحصل الإفهام عند المتلقي حينئذٍ.

(٤) التواصل وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة

لكي تتحقق عملية التواصل لا بد من وجود الصلة بين المتكلم والمتلقي في الكلام فإذا وجد ما يوهم المتلقي في الإيهام واللبس تعني على المتلقي أن يرفع هذا الإيهام بالقرائن الحسية كما هو الحال في أسماء الإشارة او بالقرائن اللفظية كما في قوله (عليه السلام) «فانظر في ذلك نظراً بليغا، فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الاشرار»[٤١].

فلا بد إذن أن يكون المتكلم على علمٍ بوضع المخاطب وما يحتاجه وما يمتلكه من المعرفة وهذا هو أساس العملية التواصلية.

(٥) التواصل والأسلوب الإنشائي

من خلال قراءتنا لعهد الإمام علي (عليه السلام) وجدنا هيمنة الجمل الإنشائية وكذلك هيمنة أسلوب الأمر مثل قوله: «والصق بأهل الورع والصدق»[٤٢] وكذلك قوله: «واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن برعيته في إحسانه إليهم»[٤٣]. الغرض من هذا الأمر هو أن يبقى المتلقي على صلة وثيقة مع الحدث الذي أراد الملقي أن يوصله إلى المتلقي فيصوغ الإمام علي (عليه السلام) خطابه الأمري من خلال تحشيد مجموعة من أفعال الأمر التي تضيف إلى النص شكلا

هندسيا، وقد خرجت جميع هذه الأفعال إلى طلب النصح والإرشاد. وسبب غلبة أسلوب الأمر؛ لأن المتلقي شخصية قيادية فلا بد أن تحقق هذه الشخصية العطاء والتقدم لذلك ناسبه أسلوب الأمر.

أما أسلوب النهي فنجده حاضرا أيضا في هذا العهد ليؤدي معنى التوكيد، فالملقي يؤكد قوة ذلك المتلقي وقدرته على أداء مهامه بالصورة الصحيحة كما في قوله: «وأفضلهم حلما ممن يبطيء عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء»(٤٤).

وفي باب المشورة يشدد الإمام علي (عليه السلام) على مالك بن الأشتر في النهي عن إدخال البخيل والجبان والحريص في مشورته بقوله: «لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ولا حريصاً يزين لك الشره»(٤٥).

(٦) التواصل والإيقاع الصوتي

كما يلاحظ ميل الجمل عموماً في العهد إلى تحقيق الإيقاع الصوتي عن طريق اعتماد أسلوب السجع الذي كان حاضرا بوضوح في مجمل العهد، والغرض منه إثارة عاطفة المتلقي وتحريكها لتحقيق العزيمة على المضي في الأمور كلها. ونجد كذلك أن الإمام علي (عليه السلام) في عهده لا يكتفي بتوجيه الأمر أو النهي فقط وإنما يتبعه بذكر السبب الذي كان لأجله الأمر أو النهي وهذا إن دل على شيء فإنما يدلّ على سعة علم الامام (عليه السلام) بحقائق الأمور وبواعثها كما في قوله: «ثم أنظر في حال كتّابك فولِّ على أمورك خيرهم، وأخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتزيء بها عليك في خلاف لك»(٤٦).

ونلاحظ أيضا غلبة الجمل القصيرة على العهد وغاية المرسل من ذلك تقبلها من قبل المتلقي فيتمكن من متابعتها وتحصيل مطالبها بيسر وسهولة؛ لأنها اعتمدت على الإيجاز وتركيز المعنى.

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا لا بد أن نقول:

(١) إنّ أهم غاية من عهد الإمام علي (عليه السلام) هو التوصيل لأفكاره إلى الرعية.

(٢) الأهم من التوصيل هو بقاء هذه الأفكار جيلا بعد جيل وبقاء هذه الأفكار في ذهن المتلقين، هذا البقاء الذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على توازن ألفاظه (عليه السلام) واعتدالها.

(٣) مقصديته (عليه السلام) من هذا العهد تتجلى في الربط بين التراكيز اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام لأن الإمام علي (عليه السلام) حين كتب هذا العهد كان له قصد لجعل الكلام يصلح لأنْ يفهم عن طريق التواصل، لأن التواصل لا يتم بنجاح إذا لم يحدث التطابق بين قصد المرسل والمعنى المؤول من لدن المرسل إليه سواء أكان القصد مطابقا للمعنى الحرفي أم مفارقا له، لان التواصل مشروط القصدية وإرادة المتكلم في التأثير على الآخر. وتعدُ هذه القصدية مميز منهجي في اللسانيات التداولية.

(٤) وضوح الجانب الأدبي في عهد الإمام علي (عليه السلام) حيث تم انشاؤه من شخص عربي ملم بكل خفايا اللغة ودقائقها وهو رجل قضاء وفقيه وفيلسوف وصاحب إلمام بالسياسة والإدارة وعلم الاجتماع والأخلاق والدين من خلال اعتماده أساليب أدبية متنوعة.

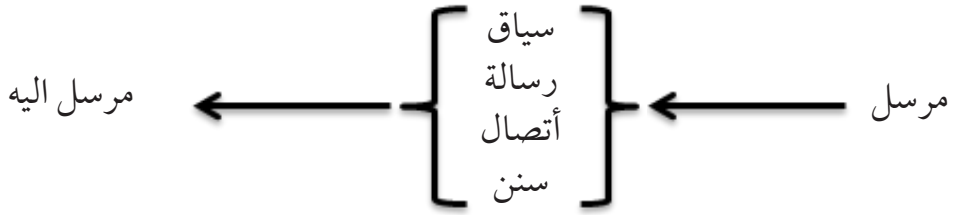

شكل رقم (١)

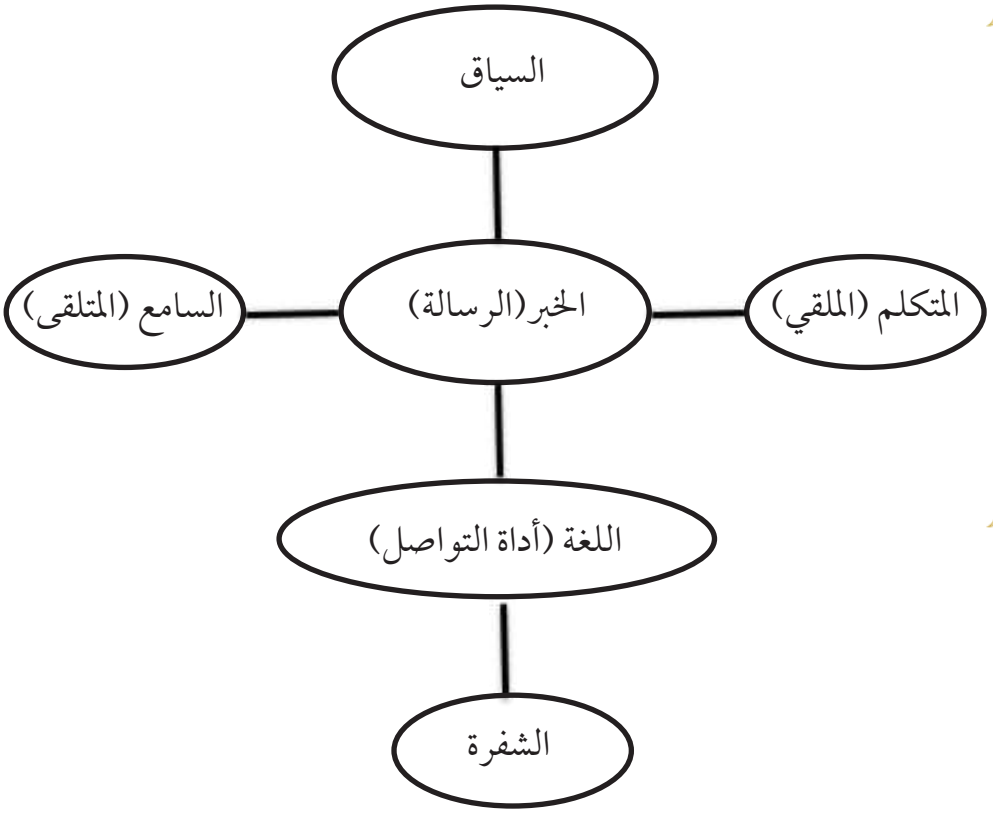

شكل رقم (٢)

شكل رقم (٣)

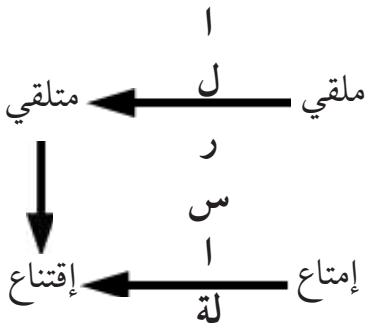

شكل رقم (٤)

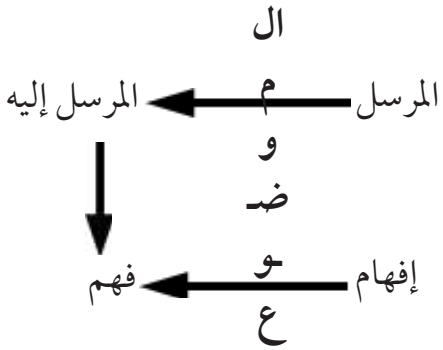

شكل رقم (٥)

الهوامش

(١) ينظر استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ١٨٥، دار الكتب الوطنية، نغازي، ليبيا، ط١، د.ت.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٣) لسان العرب: مادة وصل، دار لسان العرب، ١٩٧٠.

(٤) ينظر: شرح التفتازاني على تصريف الزنجاني: ٣٨.

(٥) المعجم الوسيط للزمخشري مجمع اللغة العربية، دار الحديث للطبع والنشر بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٣٧.

(6) Edition sعليه السلامniversitaires, 1969, p 42.

(7) Charles cooley, Social organisation in" alcomعليه السلامeniation anonyme."

(8) Dictionnare des concepts, eles Francoise Raynal etalain Rieعليه السلامenier, 1977, P 31.

(٩) لسان العرب: مادة خطب.

(١٠) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، أستنبول ١٩٨٠، ص ٢٤٣.

(١١) إشكالات النص، جمعان بن عبد الكريم، ص ٣٥.

(١٢) أساس البلاغة، جار الله محمود أبو القاسم الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، انتشارات دفتر تبليغات الأمير، د.ط، د.ت، ص ٩٨.

(١٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر مادة: حور، د.ط، ج ٢، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٨٢.

(١٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٢، د.ط، د.ت، ص ١٥١.

(١٥) التعبير والتواصل (التقنيات والمجالات) ديداكيتك، علي آيت أوشان، دار أبي مرامر للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٠، ص ٦١.

(١٦) عندما نتواصل نغير (معادية تداولية معرفية لآليات الحجاج)، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦، ص ٢٠٠.

(١٧) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، محمد نظيف، أفريقيا الشرق، د.ط، الدار

البيضاء، ص ١٥.

(١٨) التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزبر، منشورات الضلاف، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢٤.

(١٩) لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس عالم الكتب الحديثة، أربد، عمان، ط ٢، ٢٠٠٩.

(٢٠) اللغة والخطاب، عمر أركان، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠، ص ٤٩.

(٢١) قضايا الشعرية، رومان ياكوبسن، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار تويقال، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨، ص ٣٠.

(٢٢) اللغة والخطاب، عمر أركان، ص ٤٨، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠١.

(٢٣) حدود التواصل- الأجماع والتنازع بين هابرماس وليوبار فرانك مانفرد، ترجمة وتقديم: عز العرب لحكيم، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٣، ٤٥.

(٢٤) قضايا الشعرية: ٢٨.

(٢٥) سر الفصاحة، أبن سنان الخفاجي: ص ٢٢٠- ٢٢١، ط ١، دار الكتب العلمية، د. ت.

(٢٦) اللغة والفكر والمعنى، محمد بو عمامة، ص ٢٣٦، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠٠.

(٢٧) الصناعتين، ص ١٩.

(٢٨) م. ن: ٢٣.

(٢٩) البيان والتبيين: ص ٧٦.

(٣٠) المصدر نفسه والصفحة.

(٣١) علم اللغة العام: فريائيد دي سوسير، ترجمة ديوئيل يوسف، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطلبي، أفاق عربية، ١٩٨٥، ص ٣٠.

(٣٢) قضايا الشعرية: ص ٣٠، رومان جاكسون، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توفيال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

(٣٣) استراتيجيات التواصل، سعيد بنكراد، ص ٩.

(٣٤) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، ص ١٤.

(٣٥) علم الأعلام اللغوي، عبد العزيز شرف: ص ٧٠.

(٣٦) تحليل الخطاب: ج. بول، ص ٢.

(٣٧) التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، منشورات الضلاف، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢٤.

(٣٨) العهد: ٢٢ وهناك الكثير من الامثلة في هذا الباب وكذلك قوله «ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم»(٧).

(٣٩) العهد: ٢٠.

(٤٠) العهد: ١٨.

(٤١) م. ن. وللمزيد من الامثلة ينظر: العهد: ١٧، ١٩، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠.

(٤٢) م. ن: ٢٠.

(٤٣) م. ن: ٢٢.

(٤٤) م. ن: ٢٤.

(٤٥) حاشية يس على شرح الفاكهي على قطر الندى، يس بن زيد الدين الحمصي الشافعي (ت١٠٦١هـ) مكتبة الارشاد، تركيا، ١/ ٨٨.

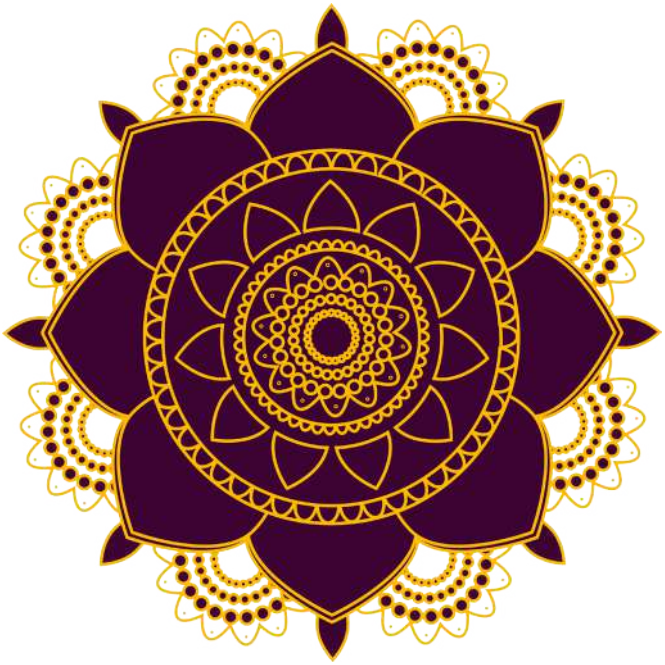

(٤٦) العهد: ٢٤.

قائمة المظان:

القرآن الكريم

(١) أساس البلاغة، جار الله محمود أبو القاسم الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، انتشارات دفتر تبليغات الأمير، د.ط، د.ت.

(٢) استراتيجيات التواصل، سعيد بنغراد، المغرب، افريقيا الشرق، ٢٠٠٠.

(٣) أستراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ١٨٥، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط١، د.ت.

(٤) الاسلوب والاسلوبية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢.

(٥) أشكالات النص، جمعان بن عبد الكريم.

(٦) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١.

(٧) تحليل الخطاب: ج. بول.

(٨) التعبير والتواصل (التقنيات والمجالات) ديداكيتك، علي آيت أوشان، دار أبي مرامر للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٠.

(٩) التواصل اللساني والشعرية، الطاهر بومزير، منشورات الضلاف، ط١، ٢٠٠٧.

(١٠) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، محمد نظيف، أفريقيا الشرق، د.ط، الدار البيضاء.

(١١) سر الفصاحة، أبن سنان الخفاجي: ص ٢٢٠- ٢٢١، ط ١، دار الكتب العلمية، د. ت.

(١٢) سير اعلام النبلاء شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق سعيد الافغاني، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٩.

(١٣) علم الأعلام اللغوي، عبد العزيز شرف.

(١٤) علم اللغة العام: فريائيد دي سوسير، ترجمة ديوئيل يوسف، مراجعة النص العربي د. مالك يوسف المطلبي، أفاق عربية، ١٩٨٥.

(١٥) عندما نتواصل نغير (معادية تداولية معرفية لآليات الحجاج)، عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦.

(١٦) عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى واليه على مصر مالك الاشتر

(رضوان الله عليه)، اعداد: المستشار فليح سوادي، العتبة العلوية المقدسة، النجف، ٢٠١٠.

(١٧) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٢، د.ط، د.ت.

(١٨) قضايا الشعرية: ص ٣٠، رومان جاكسون، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توفيال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

(١٩) اللغة والخطاب، عمر أركان، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠.

(٢٠) لسان العرب: مادة وصل، دار لسان العرب، ١٩٧٠.

(٢١) اللغة والفكر والمعنى، محمد بو عمامة، ص ٢٣٦، أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠٠.

(٢٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، أستنبول ١٩٨٠.

المصادر الاجنبية

(1) Charles cooley, Social organisation in" alcomuniation anonyme."

(2) Dictionnare des concepts, eles Francoise Raynal etalain Rieunier, 1977.

(3) Edition suniversitaires, 1969.